# ذكرى الإسراء والمعراج

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

نحن الآن فى الأسبوع الأخير من شهر رجب ، شهر الله الحرام [١] ، وفى الأسبوع الأخير من رجب يتذكر المسلمون حادثًا جللاً من أحداث السيرة النبوية العاطرة ، ذلكم هو حادث الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ .

يتذكر المسلمون هذا الحادث ، ويحتفون به فى ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر الكريم ، وليس هناك قطع بأن الإسراء حدث فى تلك الليلة ، بل هناك خلاف كثير حول ميقات الإسراء : فى أى ليلة كان ؟ وفى أى شهر كان ؟ وفى أى سنة كان ؟ وهل وقع مرة واحدة أو وقع أكثر من مرة ؟ [٢] إلى آخر ما بحثه العلماء المسلمون من وقائع السيرة وتواريخها ، التى لم يضبطها الصحابة وتابعوهم بإحسان، فإنهم ما كانوا يهتمون إلا بما كان وراءه عمل .

ما كان وراءه حلال أو حرام ، أو شىء يوجب عليهم عملاً معينًا ، فكانوا يبحثون عنه ويدققون فيه .

---

(١) هو أحد الأشهر الأربعة الحرم التى عظمها الله فى القرآن حين قال : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [ التوبة : ٣٦ ] ، وهذه الأشهر هى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ( ثلاثة سرد وواحد فرد ) ، وسميت حرمًا لأنها معظمة محترمة ، تتضاعف فيها الطاعات ، ويحرم فيها القتال ، وقد ورد استحباب الصيام فيها ، وبخاصة المحرم، وللشيخ القرضاوى فتويان تخصان شهر رجب والصيام فيه ، وما يذكره بعض الخطباء، ويتناقله الناس ، من مبالغات وتهويلات فى فضله ، راجع فتاوى معاصرة : (١/ ٣٨٤- ٣٨٦) .

(٢) راجع فى هذا كله ما كتبه الأستاذ المحقق محمد الصادق إبراهيم عرجون ، فى الجزء الثانى من كتابه الفذ : ( محمد رسول الله ﷺ ) .



OBEIKANDL.COM

ولم يشرع فى الإسراء والمعراج صيام نهار ولا قيام ليل ، ولهذا حدث هذا الاختلاف .

ولكن المسلمين قد اشتهر بينهم فى الأعصر الأخيرة ، أن الإسراء والمعراج فى ليلة السابع والعشرين من رجب ، ونحن لا يهمنا : هل كان الإسراء فى تلك الليلة أو لم يكن ؟ إنما يهمنا الحادث نفسه .

الإسراء واقع بنص القرآن الكريم ، سميت باسمه سورة من سوره ، وافتتح الله بذكره هذه السورة حينما قال عز وجل : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

ومن هنا كان من كذب الإسراء ، ولم يؤمن به ، كافرًا بإجماع المسلمين ، لأنه كذب صريح القرآن المقطوع به ، المجمع عليه ، المعلوم من حياة نبى الله ﷺ بالضرورة .

أما المعراج فلم يذكر فى القرآن إلا من باب الإشارة ، وذلك فى سورة ( النجم)، حيث قال الله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ الكلام عن جبريل الذى كان يأتى بالقرآن للنبى ﷺ - ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (٢) ، رأى النبى ﷺ جبريل على صورته الملائكية مرتين : مرة فى الأرض ، وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء والمشار إليها فى قوله تعالى فى سورة التكوير : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (٣) ، والرؤية الثانية هى التى عند سدرة المنتهى فى ليلة المعراج هذه.

---

(١) الإسراء : ١ . (٢) النجم : ١ - ١٨ . (٣) التكوير : ٢٣ .



OBEIKAN.COM

المعراج جاء فى القرآن بهذه الإشارات فى هذه الآيات ، ولكن الإسراء جاء صريحًا ، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تثبت الإسراء والمعراج .

**الإسراء** : رحلة أرضية ، بين المسجدين المباركين المقدسين : مسجد مكة ، ومسجد القدس « من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ، ربط الله بينهما بهذه الرحلة النبوية المباركة ، الأول هو بداية الإسراء والثانى هو نهايته .

**أما المعراج** : فهو رحلة تبتدىء من الأرض إلى السموات العلى ، إلى مستوى لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، كما قال الشاعر :

حتى بلغت سماء لا يطار لهـا  على جناح ولا يسعى على قدم

هناك بلغ مستوى لم يبلغه بشر قبله ﷺ .

كان الأنبياء فى استقباله فى كل سماء ، كبار الأنبياء استقبلوه فى الأرض ، وصلوا خلفه ﷺ ، ثم وزع الله أعاظم الأنبياء على السموات ، فكانوا يرحبون بمقدمه ﷺ .

كان هذا التكريم لرسول الله ﷺ بعد أن نال ما نال من إعراض الخلق ، ومن إيذاء البشر .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يسرى عنه ، وأن يعوضه ، وأن يقيم له هذا الحفل التكريمى ، فى الأرض وفى السماء .

إن النبى ﷺ قد قاسى ما قاسى هو وأصحابه ، عشر سنوات يعرض على القوم دعوته ، يتلو عليهم القرآن ، ويبلغهم الإسلام ، ولكنهم استقبلوه بأشد ما يستقبل به نبى .

واشتد الأذى أكثر وأكثر بعد موت عمه أبى طالب ، الذى كان ذائدًا مدافعًا عن النبى ﷺ ، وبعد موت زوجه خديجة ، كلاهما كان سندًا له ، أبو طالب سنده فى الخارج ، وخديجة كانت سنده فى الداخل ، ماتا فى أيام قريبة فى عام واحد [1] ، فسماه النبى ﷺ : ( عام الحزن ) .

---

(١) قيل فى العام العاشر من البعثة ، قبل الهجرة بثلاث سنين .



OBEIKAN.COM

وأراد عليه الصلاة والسلام أن يجرب موقعًا جديدًا ،وأرضًا جديدة ، فيها بذور دعوته ، فقرر أن يتوجه إلى الطائف ، إلى حيث تسكن قبيلة ( ثقيف ) ، عسى أن يجد عند ( ثقيف ) ما لم يجد عند قومه من ( قريش ) .

ذهب ومعه مولاه ( زيد بن حارثة ) ،ولكنه لم يجد عند القوم إلا شرًا مما وجد عند قريش .

استقبلوه أقبح استقبال ، قال له منهم من قال : ألم يجد الله فى جزيرة العرب غيرك حتى يرسله إلى الناس ؟ وقال له آخر : إن كنت صادقًا فأنت أعظم من أن أكلمك ، وإن كنت كاذبًا فأنت أحقر من أن أكلمك ، فلن أكلمك صادقًا ولا كاذبًا ! حتى مجرد الكلام معه حرموه منه ، لم يريحوه بالكلام .

سلطوا عليه العبيد والسفهاء والصبيان ، يرمونه بالحجارة ، حتى أدموا عقبيه ﷺ، وسال دمه الشريف من عقبيه ، ولم يجد بدًا من أن يعود .

عاد ولكن الله سبحانه وتعالى لم يدعه ، لقد عاد يشكو إلى ربه ، يناجيه تلك المناجاة المعروفة الرقيقة الندية ، التى يقول فيها لربه : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (١) .

لم يبال بغضب الناس إذا كان الله تعالى قد رضى عنه ، ولكنه يسأل الله العفو والعافية .

---

(١) القصة التى رواها ابن اسحاق فى السيرة عن محمد بن كعب القرظى مرسلاً بسند صحيح (٢/ ٦٠ - ٦٣) ط . دار إحياء التراث العربى ، بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، إلا الدعاء فذكره بغير سند ، لكن رواه الطبرانى فى الكبير ، وأورده الهيثمى فى المجمع (١/ ٣٥) وقال : فيه ابن اسحاق مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات .

هنالك غضبت له الملائكة من فوق السموات العلى ، وأرادوا أن يكونوا رهن إشارته ﷺ ، إن شاء أن يطبق عليهم الجبلين ، أو يخسف بهم الأرض ، أو ينزل بهم ما نزل بالكفار من قبل ، ولكنه ﷺ أبى ذلك كله ، وقال : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » (١) .

وشاء الله سبحانه ألا تضيع رحلته سدى ، فكان من أمره وهو عائد إلى مكة ، أن جلس إلى حائط . . . بستان ، لأحد مشركى قريش ، لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة، ابنى ربيعة ، من بنى عبد شمس ، وأحسّا به ، فأرسلا إليه بقطف من العنب، مع غلام نصرانى خادم عندهما ، فأخذ النبى ﷺ بعض العنب ، وقال : بسم الله ، فعجب الغلام أن يسمع هذا ، وقال : هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال : من أى البلاد أنت ؟ قال : من نينوى قال : من بلدة العبد الصالح ( يونس بن متى ) ؟ قال : ومن أين لك العلم به ؟ قال : هو نبى ، وأنا نبى وعرض النبى ﷺ عليه الإسلام ، وتلا عليه بعض القرآن ، فأسلم الرجل .

كان هذا أول ثمار الرحلة .

وفى عودته أيضًا أرسل الله إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن ﴿ . . . فَلَمَا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ (٢) يقولون لهم : ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِىَ اللهِ وَآمِنُواْ بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

ثم كان هذا التكريم ، كان الإسراء ، وكان المعراج .

بعث الله أمين الوحى ( جبريل ) عليه السلام إلى محمد ﷺ ، فغسل صدره بماء زمزم ، وأخرج منه حظ الشيطان ، وذهب به ، راكبًا البراق : دابة كأنها من البرق،

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه : كتاب الجهاد والسير ، باب : ( ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ) رقم (١٧٩٥) .

(٢) الأحقاف : ٢٩ ، ومطلع الآية : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ . . . ﴾ .

(٣) الأحقاف : ٣١ .

كأنها شيء يتصل نسبًا بالكهرباء ، ركب هذه الدابة التى لا نعرف كنهها ، من المسجد الحرام إلى القدس الشريف ، فك الله أسره .

وأراه الله ما أراه ، أراه أجزية وعقوبات لأناس كثيرين .

رأى رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من النار ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك ، الذين يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون ؟ (١) ، ورأى عقوبة الذين يغتابون الناس ، يخمشون وجهوهم بأظافر من نحاس ، ثم تعود كما كانت ، ثم يخمشونها ، وهكذا (٢) .

رأى ما رأى فى طريقه ، وفى مسيرته ﷺ ، حتى وصل إلى بيت المقدس ، وكان هناك الأنبياء ينتظرونه .

ثم من هناك صعد إلى السموات العلى ، إلى حيث ناجى ربه عز وجل ، وفرض عليه الصلوات ، كانت فى أول أمرها خمسين صلاة ، ولكنه بمشورة من أخيه موسى عليه السلام ظل يراجع ربه ، فخففها من خمسين حتى بلغت خمسًا ، وقال الله تعالى : « ما يبدل القول لدى هى فى العمل خمس وفى الأجر خمسون » (٣) .

كانت هذه بداية فرضية الصلوات ، عمود الدين ، التى هى الصلة اليومية بين الإنسان وربه ، هى المعراج اليومى للمؤمنين .

إذا كان رسول الله ﷺ قد عرج به إلى السموات العلى ، فالصحيح أنه أسرى به ،

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه عن أنس ( الإحسان : ٥٣ ) وذكر محققه أن له متابعات ترتقى به إلى الصحة ، وانظر ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٤٥ - ٦٤٦ ، الحديث ١٣٨٢ ) .

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٣/ ٢٢٤) ، ورواه أبو داود فى الأدب (٤٨٧٨) ، عن أنس بسند صحيح ، وروى مرسلاً ، ولكن السند أصح كما قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٤١) ، وانظر ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٧٤٣ ، الحديث ١٧١٠).

(٣) راجع حديث المعراج الذى رواه البخارى فى كتاب الصلاة ( باب كيف فرضت الصلوات فى الإسراء ) رقم (٣٤٩) ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان ( باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم١٦٢ ) .



OBEIKAN.COM

وعرج به ، بجسده وروحه معًا ، ولا بعيد على قدرة الله عز وجل ، إن البشر استطاعوا - بوسائلهم الخاصة ، وبما علمهم الله ما لم يكونوا يعلمون - أن يطووا المسافات ، ويختصروا الأزمان ، ويصلوا إلى القمر ، فكيف بصاحب القدرة التى لا تقهر ؟! بمن لا يعجزه شيء فى السموات ولا فى الأرض ؟! لا نستبعد عليه أن يسرى برسوله ، وأن يعرج به إلى السموات العلى ، جسمًا وروحًا (١) .

عرج به حتى فرض الله عليه فى السموات هذه الصلوات ، وكان هذا فضلاً لهذه الفريضة على غيرها من الفرائض والشعائر ، فالفرائض كلها فرضت فى الأرض ، وهذه الصلاة فرضت فى السماء ، دلالة على مكانتها فى دين الله ، دلالة على منزلتها ، وأنها عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الإسلام ، ومن هدمها فقد هدم هذا الدين .

الصلاة هى معراج كل مؤمن إلى ربه ، تستطيع أن ترقى إلى الله يوميًا بهذه الصلوات ، التى تنتزعك من دنيا الناس ، مما عليه يتصارع الناس ، تنتزعك من دنيا الغفلة ، من دنيا الصراع ، إلى حيث تقف بين يدى ربك تناجيه ، فتناجى قريبًا غير بعيد ، وتسأله ، فتسأل كريمًا غير بخيل ، وتستعينه ، فتستعين قويًا غير ضعيف ، وكأنك تسمع له ، وهو يقول فى الحديث القدسى : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، إذا قال العبد : ﴿ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله : حمدنى عبدى ، فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال : أثنى على عبدى ، فإذا قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال : مجدنى عبدى ، فإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

---

(١) انظر تحقيق القول فى هذه المسألة ( الجزء الثانى ) من كتاب الأستاذ ( محمد الصادق إبراهيم عرجون ) المشار إليه آنفًا ، حيث أكد إجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف العلماء ، على أن الإسراء والمعراج كان بالنبى ﷺ وهو فى أكمل حالات بشريته روحًا وجسدًا ، ومن أقوى الدلائل على ذلك : أن النبى ﷺ عندما أعلن ذلك بين قريش فتن بعض الذين أسلموا ، وارتد من ارتد ، ولو كان بالروح فقط ، أو رؤيا رآها النبى لما كان فى ذلك غرابة ، فالإنسان العادى يرى فى المنام ما لا يخطر ببال أحد .

عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » [1] ، هناك تجاوب بين الله وبين عبده المصلى .

إن التحفة والهدية والذخيرة التى بقيت لنا من ذكرى الإسراء والمعراج ، هى هذه الصلوات .

الصلوات التى نرى كثيرًا من المسلمين يفرطون فيها ، ويضيعونها ﴿ . . . أَضَاعُواْ الصَّلاةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيا ﴾ [2] .

نرى من أبناء المسلمين ، ممن يتسمى بأسماء المسلمين . . . بأسماء الأنبياء . . . بأسماء الصحابة ، من اسمه محمد وأحمد ، وعلى ، وعمر ، وحسن ، وحسين ، ومع هذا لا يعرفون المساجد ، ولا ينحنون لله راكعين ، ولا يعفرون الجباه لله ساجدين ، أهذا من الإسلام فى شىء .

الصلاة بقية الإسراء والمعراج .

وكذلك بقى لنا من الإسراء والمعراج شىء مهم : هو الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

ربط الله بينهما فى كتابه ، فى هذه الآية الكريمة ، التى بدئت بها سورة الإسراء، وذلك حتى لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين ، ولا يفرط فى واحد منهما ، فإنه إذا فرط فى أحدهما أوشك أن يفرط فى الآخر .

إذا تركنا المسجد الأقصى تأخذه ( اليهود ) ، ويعبث به ( اليهود ) ، ويعمل على تهديمه ( اليهود ) ،ليقيموا مكانه ( هيكل سليمان ) ، إذا فرطنا فى المسجد الأقصى، فلا يبعد أن نفرط يومًا فى مسجد رسول الله ﷺ ، أو فى المسجد الحرام .

ولليهود أطماع فى المدينة ، حيث كان هناك : بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وبنو النضير .

---

(١) رواه مسلم ، ومالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وغيرهم ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٤٢٦ ، الحديث ٨٠٣ ) ،وقوله : « قسمت الصلاة » يعنى القراءة أو الفاتحة ، بدليل تفسيره بها ، وقد تسمى القراءة صلاة ، لكونها جزءًا من أجزائها .

(٢) مريم : ٥٩ ، ومطلعها : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ . . . ﴾ .



OBEIKAN.COM

لهم أطماع فى مسجد رسول الله ﷺ ، ولا تستبعدوا شيئًا ، كنا نستبعد ما وقع الآن حتى وقع ، كل ما نراه الآن ، كان عندنا قديمًا شبه مستحيل ، ولكن الأجيال التى تنشأ اليوم على ما تراه ، أصبح هذا الأمر واقعًا عندها ، لا تستبعدوا شيئًا إذا نحن غفلنا وفرطنا .

ربط الله بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، حتى لا تهون عندنا حرمة المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وإذا كان قد بارك حوله ، فما بالكم بالمباركة له هو؟!

إذا كان ما حوله مباركًا ، الأرض التى حوله كلها أرض مباركة ، أرض النبوات . . . أرض الذكريات ، وصفها الله فى القرآن بالبركة فى جملة مواضع ، كما قال عز وجل فى إبراهيم : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾(١) .

إنها أرض النبوات ، الأرض التى رواها الصحابة والتابعون بدمائهم ، وسقط فيها الشهداء ، لا ينبغى للمسلمين أن يفرطوا فيها ، أو يضيوعها .

مما نتعلمه من رحلة الإسراء والمعراج ، أن الله قد ربط بين المسجدين : المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة ،التى لا تشد الرحال إلا إليها ، كما جاء فى الحديث الصحيح المتفق عليه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد - أى للصلاة فيها قصدًا ، كل المساجد بعد ذلك تتساوى - المسجد الحرام ،ومسجدى هذا- أى مسجده ﷺ - والمسجد الأقصى » (٢) .

فعلينا أيها المسلمون : أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها ، لا ينبغى أن يصبح الأمر الواقع مفروضًا علينا ، ونتقبل هذا بهزيمة نفسية منكرة ، ويصبح اليهود سادة المسجد الأقصى ، وسادة أرض النبوات .

---

(١) الأنبياء : ٧١ .

(٢) حديث صحيح ، رواه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى هريرة ، ورواه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجة عن أبى سعيد ، ورواه ابن ماجة عن ابن عمرو ( الجامع الصغير للسيوطى ٢/ ٢٠١ ) .



OBEIKAN.COM

إن علينا أن نجاهد ، حتى نسترد هذا المسجد ، حتى نسترد القدس الشريف ، حتى نسترد الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وهى أرض الإسلام ، وهى جزء من دار الإسلام ، ووطن الإسلام ، لا يجوز لأحد أن يفرط فيه ، أو يبيعه ، أو يخونه .

حتى لو أن الفلسطينيين أنفسهم تخلوا عن هذا الوطن الإسلامى ، عن هذه الأرض المقدسة ، لوجب على المسلمين أن يدافعوا عنها ، لأن هذه الأرض الطيبة المباركة ، ليست أرض الفلسطينيين وحدهم ، ولا أرض الأردنيين وحدهم ، ولا أرض العرب وحدهم ،ولا أرض المسلمين المعاصرين وحدهم بل هى أرض الإسلام، أرض الأمة الإسلامية فى مختلف أجيالها .

فلو أن هذا الجيل فرط ، أو ضيع ، أو خان ، فإن الأجيال التالية ستلعنه ، وستحاول أن تتدارك ما فات ، ولا بد أن يأتى يوم يقاتل المسلمون فيه ، عن إيمان ويقين .

لا بد من يوم تقع فيه المعركة مع اليهود ، يكون فيها النصر المؤزر للإسلام ، هذا ما جاء فى الصحيح عن النبى ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله ، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود » (١) .

وإنا لهذا اليوم لمنتظرون ، وما ذلك على الله بعزيز ﴿ ... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ ، يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللهِ ، لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) حديث قتال المسلمين اليهود رواه البخارى فى كتاب الجهاد ، ورواه مسلم فى كتاب الفتن وأشراط الساعة وهذا لفظه ، وقد روياه عن أبى هريرة وابن عمر من أكثر من طريق ، وقد أوضح الشيخ القرضاوى - فى فتوى له - ما تضمنه هذا الحديث من معانٍ ، وأجاب عن بعض التساؤلات التى تثار حوله ، انظر ( فتاوى معاصرة : ٢/٦٨ - ٧٢ ) .

(٢) الروم : ٤ - ٦ .



OBEIKAN.COM

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

هناك فتاتان من الفلبين أسلمتا ، وهما تصليان معنا الآن عند الأخوات ، أرجو من الأخوات المصليات أن يبادرن بمصافحتهما والسلام عليهما ، وإشعارهما بروح الأخوة الإسلامية . وإن واجبًا علينا نحن المسلمين ، أن نعمل على أن يدخل هؤلاء الذين يعملون فى دورنا وبيوتنا إلى الإسلام .

كان الأولى أن نستقدم المسلمين والمسلمات ، فهم أولى ، كما جاء فى حديث النبى ﷺ : « لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) .

أما وقد أصبح مئات وآلاف من هؤلاء فى بيوت المسلمين ، فعلى المسلمين أن يبلغوهم دعوة الإسلام ، عليهم أن يعرضوا عليهم هذا الدين ، فقد يجدون كثيرًا من الاستجابة .

كثير من هؤلاء ليسوا على دين حقيقى ، بل هو دين وراثى ، إذا وجدوا من يشرح لهم الإسلام شرحًا مبسطًا ميسرًا ، يعرفهم حقيقة هذا الدين ، دون تكلف أو تعمق ، العقيدة الإسلامية الواضحة ، عقيدة التوحيد ، الشعائر الإسلامية الميسرة، الأخلاق الإسلامية ، الأخوة الإسلامية ، هذه كلها ينبغى أن تعرض على هؤلاء قولاً وفعلاً ، فعسى أن نجد منهم من يستجيب و« لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » (٢) « . . . خير لك مما طلعت عليه

---

(١) حديث صحيح ، رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، ابن حبان ، والحاكم ، عن أبى سعيد ( الجامع الصغير ٢/٢٠١ ) .

(٢) أخرجه البخارى عن سهل بن سعد فى ( كتاب فضائل الصحابة ) / باب : مناقب على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، و( حمر النعم ) هى الإبل الحمراء اللون ، وكان العرب يعتبرونها من أنفس الأموال .



OBEIKAN.COM

الشمس وغربت» (١) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم اعل بنا كلمة الإسلام ، وارفع بنا راية القرآن ، وانصرنا على أعدائك أعداء الدين ، اللهم انصرنا على اليهود ، اللهم انصرنا على الصليبيين ، اللهم انصرنا على الشيوعيين ، اللهم انصرنا على الملاحدة والمنافقين ، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الدين ، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر ﴿ . . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

عباد الله : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحابته والتابعين .

﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٥) .

* * *

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى رافع ، وحسنه السيوطى فى ( الجامع الصغير ٢/ ١٢٢): ونصه كاملاً : « لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

(٢) فصلت : ٣٣ .

(٣) الحشر : ١٠ .

(٤) الأحزاب : ٥٦ .

(٥) العنكبوت : ٤٥ .



OBEIKAN.COM

# ليلة النصف من شعبان

● **الخطبة الأولى** :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

نحن الآن فى شهر شعبان ، مضى شهر رجب وهو من الأشهر الحرم التى عظم الله تعالى شأنها فى كتابه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ . . . ﴾ (١) .

مضى رجب وجاء شعبان ، ويأتى بعد شعبان رمضان ، أشهر من أشهر الله تبارك وتعالى ، ليس رجب شهر الله وحده ، كما جاء فى حديث لا يثبت ولا يصح : «رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى » (٢) ليس هذا بصحيح عن النبى ﷺ ، الشهور كلها شهور الله ، والشهور كلها شهور الأمة ، هو شهر الأمة لمن ينتفع به .

شعبان شهر كان النبى ﷺ يصوم فيه أكثر مما يصوم فى غيره من الشهور ، وكانت سنة النبى ﷺ كما رواها عنه أصحابه أنه كان يصوم حتى يقال إنه لا يفطر ، ثم يفطر أيامًا تطول حتى يقال لا يصوم (٣) ، وكان أكثر ما يصوم فى شعبان ، كان

---

(١) التوبة : ٣٦ .

(٢) هو حديث منكر وضعيف جدًا ، بل قال كثير من العلماء إنه موضوع ، يعنى أنه مكذوب ، فليس له قيمة من الناحية العلمية ولا من الناحية الدينية ( فتاوى معاصرة للشيخ القرضاوى : ١/ ٣٨٤ ) ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات بطرق عديدة ، وكذا الحافظ ابن حجر فى كتاب : تبيين العجب فيما ورد فى رجب ( كشف الخفا للشيخ إسماعيل العجلونى) ، وانظر ( الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى ) ص (٤٣٩) ط . دار الكتب العلمية ببيروت ، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى وعبد الوهاب عبد اللطيف .

(٣) ونص الحديث الذى رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود : « كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم . . . » ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣١٨، الحديث ٥٣٢ ) .



OBEIKAN.COM

يصوم أكثره ، بل فى بعض الروايات أنه كان يصومه كله ، ولكن روايات أخر تقول : إنه ما استكمل صيام شهر قط غير رمضان [١] ، وروى عنه أسامة بن زيد أنه سأله : يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال : «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » [٢] . كما صح عنه ﷺ أنه كان يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وفى بعض الأحاديث أنه سئل [٣] عن سر الحرص على صيامهما فقال : « ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملى ، وأنا صائم » . فالصيام يقرب العبد من الله تبارك وتعالى ، ويجعله أهلاً لاستجابة دعوته وتقبل عمله .

من هنا حرص النبى ﷺ على كثرة الصيام فى شهر شعبان ، الذى يغفل الناس عنه بين رجب الشهر الحرام وبين رمضان الشهر المكرم ، شهر القرآن ، ومن هنا جاء فضل شعبان أنه يشرع فيه الصيام ، وعلى من فاته شىء من رمضان ، كأن كان مريضًا أو مسافرًا ، أو كانت امرأة فاتها شىء بحكم الدورة الشهرية فى رمضان ، عليها أن تتدارك قبل أن يأتى رمضان القادم .

يسأل كثير من الناس : هل يجوز قضاء ما فات الإنسان من رمضان فى شعبان ؟ نعم يجوز [٤] ، وإذا لم يكن قد قضى ما فاته خلال عشرة أشهر ماضية ، فعليه أن يتدارك الأمر ، ويقضى ما فاته فى شهر شعبان ، فإن أحدًا لا يضمن عمره ، وإن أحدًا لا يضمن صحته ، فالصحيح قد يمرض ، والحى قد يموت ، بل كل امرىء وكل نفس ذائقة الموت .

---

(١) فلعل المراد بها : أنه لم يكن يواظب على صيام شهر كامل إلا رمضان ، أما غيره فربما أتمه ، وربما أفطر بعضه ، وانظر ( فقه الصيام للشيخ القرضاوى ص ١٢٤ ، ١٢٥ ) .

(٢) رواه النسائى ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/٣١٨ ، الحديث ٥٣١ ) .

(٣) سأله أسامة بن زيد رضى الله عنهما فى حديث رواه أبو داود (٢٤٣٦) ، والنسائى (٤/٢٠١ ، ٢٠٢) .

(٤) أجاب الشيخ القرضاوى عن هذا السؤال بالتفصيل فى ( فتاوى معاصرة : ١/ ٣٤٠-٣٤١ ) .



OBEIKAN.COM

هذا هو شهر شعبان ، أما ما جاء عن ليلة النصف منه ، فقد وردت أحاديث ودها بعض العلماء جميعًا ، وقالوا : لم يصح فيها شيء ، كالإمام ابن الجوزى والإمام ابن العربى ، وهناك من حسن بعض أحاديثها ، كحديث معاذ بن جبل : «يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه ، إلا لمشرك أو مشاحن» (١) .

يطلع الله عليهم اطلاع رحمة ومغفرة ، ينظر إليهم نظرة مغفرة وعطف ، ونظرة إلى الخلق جميعًا دائم ، وهو لا يغفل عنهم طرفة عين ، ولا ينام عن عباده ، إنما النظر هنا والاطلاع هنا ، اطلاع رحمة ومغفرة وعناية خاصة .

يطلع عليهم هذه الليلة فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن ، أما المشرك فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ . . . ﴾(٢) وأما المشاحن فهو الذى تكون بينه وبين أخيه المسلم شحناء، خصومة، عداوة ، قطيعة ، جفوة ، هذا يحرم من المغفرة ، يحرم منها فى كل أسبوع .

فى يوم الإثنين ويوم الخميس ، أو ليلة الإثنين وليلة الخميس ، حيث يغفر الله تعالى لجميع خلقه إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول : أنظروا هذين حتى يصطلحا . . . انظروا هذين حتى يصطلحا . . . أنظروا هذين حتى يصطلحا (٣) .

هكذا فى الموسم الأسبوعى ، ثم يأتى هكذا فى شهر شعبان فى ليلة النصف ، أى أن أبواب المغفرة موصدة ، مغلقة أمام هؤلاء الذين لم يصفوا قلوبهم من

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجالهما ثقات ، وابن حبان فى صحيحه ، وانظر ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/٣١٨ - ٣١٩ ، الحديث ٥٣٣) .

(٢) النساء : ١١٦ .

(٣) إشارة إلى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا ، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » يعنى أخروهما ، قال أبو داود : إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا فى شيء ، فإن النبى ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يومًا ، وابن عمر هجر ابنًا له إلى أن مات ( المنتقى للقرضاوى : ٢/٧٢٩ - ٧٣٠ ، الحديث ١٦٦٦ ) .



OBEIKAN.COM

الأحقاد ، هؤلاء الذين لم يعرفوا معنى الصفاء والنقاء ، الذين لا يدعون بهذا الدعاء: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

سلامة الصدر من الضغائن والأحقاد أمر أساسى فى الإسلام فالإسلام يقيم حياة الناس على أمرين : على أن يحسنوا صلتهم بربهم الذى خلقهم فسواهم ، وعلى أن يحسنوا الصلة بين بعضهم وبعض ، بحيث تقوم على الأخوة . . على المحبة ، إن لم تقم على الإيثار : ﴿ . . . وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . . ﴾ (٢) كما كان الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن لم تقم على هذا المعنى العظيم الذى جاء فى الحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٣) إن لم تقم على هذا وذاك ، فلتقم على سلامة الصدر من الحقد ، من الضغينة ، من الغل ، من الحسد والبغضاء ، داء الأمم من قبلنا ، كما جاء فى الحديث : « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » (٤) .

هكذا علمنا النبى ﷺ وحذرنا ، فلماذا يعيش الناس . . . لماذا يصبحون ويمسون ويضحون ، وقلوبهم مليئة بهذه الأمراض ؟ بهذه الأوبئة الفتاكة التى تعمل فى قلوب الناس وأرواحهم أكثر مما تعمل الأمراض والأوبئة الحسية بالأجساد ؟ إنها داء الأمم. . . داء المجتمعات .

ألا ما أجمل أن يعيش الإنسان نقيًا صافيًا ! علام يتباغض الناس ؟ . . . على

---

(١) الحشر : ١٠ .
(٢) الحشر : ٩ .
(٣) رواه البخارى ، ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه ( المنتقى : ٢/ ٥١٤ ، الحديث ٩٩٨ ) .
(٤) أخرجه أحمد والترمذى ، وإسناده ضعيف ، لكن له شواهد يتقوى بها ، وذكره الهيثمى فى المجمع ٨/ ٣٠ ، ونسبه البزار ، وقال المنذرى : سنده جيد ، انظر ( شرح السنة للبغوى ، بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١٣/ ١١٧ ، الحديث ٣٥٣٨ ) و( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٧١٦ ، الحديث ١٦١٥ ) .



OBEIKAN.COM

الدنيا ؟ والله إن الدنيا لأهون من أن يتقاتل عليها الناس ، الدنيا تسعك وتسع أخاك، فلماذا تضيق ما وسعّ الله ؟ لن يأكل أحد رزقك ، كما لن تأكل رزق أحد .

علام يتحاسد الناس ؟ . . . على الدنيا ؟ وهى لا تزن عند الله جناح بعوضة ! فليت شعرى على أن جزء من جناح البعوضة يتقاتلون ويتباغضون ؟

يأتى الاثنين ويأتى الخميس ، وتأتى الجمع والأشهر ، ويأتى النصف من شعبان، ويأتى رمضان ، والأحقاد كما هى ، يغفر الله لمن يشاء أن يغفر لهم ، ولكنه يؤخر أهل الحقد كما هم ، أهل الحسد والبغضاء الذين لا تصفى الأيام سرائرهم ، الذين لا تنقى الأحداث ضمائرهم لا يتسامحون . . . لا يعفون . . . لا يغفرون ﴿ أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ . . . ﴾ (١) .

لما فعل ما فعل بعض الناس - مثل مسطح وغيره - الذين أشاعوا الإفك عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وقالوا فيها أسوأ ما يقال عن امرأة عفيفة طاهرة من بيت أكرم خلق الله ، حلف أبو بكر رضى الله عنه أنه لن يعطف على هؤلاء . . . لن ينالهم شىء من فضله ورفده ، وقد كان يعطيهم ويودهم ويبسط يده إليهم ، ولكنهم قابلوا المعروف بالنكران ، وقابلوا بالإساءة الإحسان ، ولكن القرآن نزل يعلم المسلمين ما هو أعظم من غل النفوس ، وغضب القلوب ، نزل يرتقى بمستوى المؤمنين ، فلا ينبغى أن ينزل أبو بكر إلى هذا الحضيض ، وأن يعامل الناس بمثل أعمالهم ، وجاء فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ، أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) ، فلما نزلت الآية قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : بلى نحب أن يغفر الله لنا .

هذا درس ينبغى أن نتعلمه من ليلة النصف من شعبان ، ومن يوم الاثنين والخميس، حيث يغفر الله تعالى لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء .

---

(١) . (٢) النور : ٢٢ .



OPENKAN.COM

جاء فى الحديث الآخر : « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرًا » (١) كناية عن عدم قبولها ، فلا ترتفع ولا تصعد إلى الله ﴿ . . . إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ . . . ﴾ (٢) ، ولكن هناك أعمالاً ترد على أصحابها فلا تعلو ، هناك شىء يجذبها إلى الأرض ، لأنها من جنس طينها ملوثة ، من هؤلاء الثلاثة : « وأخوان متصارمان » متقاطعان . . . متخاصمان ، فانظروا كم يخسر الإنسان بخصومته . . . بعداوته .

لم يرخص لنا الشارع إلا فى ثلاثة أيام ، تنطفىء فيها ثورة الغضب ، حينما قال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » (٣) .

لم يأت فى ليلة النصف من شعبان تخصيصها بقيام ، ولا تخصيص نهارها بصيام، ولا تخصيصها بدعاء خاص ، وصلوات خاصة ، كالتى رأينا الناس يفعلونها.

رأينا الناس من قديم يخصون هذه الليلة بالقيام ، ونهارها بالصيام ، ولم يصح فى ذلك حديث ، ولا يجوز أن تكون الأحاديث الضعيفة والواهية مدركًا لمثل هذه الأعمال والتعبدات ، فإن الأصل فى العبادة المنع إلا ما جاء النص الصحيح الصريح بالإذن به ، حتى لا يشرع الناس فى الدين ما لم يأذن به الله ، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

كنت أرى الناس فى صغرى يحتفلون بليلة النصف من شعبان ، ويعتبرونها موسمًا من المواسم الإسلامية ، يذبحون فيها الذبائح ، ويجتمعون فى المساجد يقرأون سورة

---

(١) رواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، وانظر تعليق الشيخ القرضاوى على الحديث فى كتابه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/١٨٢ ، الحديث ٢٢٩ ) ، وتتمة الحديث: « رجل أمّ قومًا وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان » .

(٢) فاطر : ١٠ .

(٣) رواه مالك والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وأبو داود ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٧٢٨ - ٧٢٩ ، الحديث ١٦٦١ ) .



OBEIKAN.COM

( يس ) وليس لهذا أصل ، ثم يصلون ركعتين بنية طول العمر ! وركعتين أخريين بنية الغنى عن الناس ! ويقرأون دعاء مليئًا بالتناقض [1] ، ففيه : اللهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيًا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا علىّ فى الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتى ، وحرمانى وطردى ، وإقتار رزقى ، واثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات كلها ، فإنك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل وعلى لسان نبيك المرسل : ﴿ يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [2] .

وهذا كلام ينقض آخره أوله ، لأنه يقول : ﴿ يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أى أن أم الكتاب لا محو فيها ولا إثبات ، وفى الأول يقول : « إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيًا . فامح اللهم بفضلك شقاوتى » كيف يستقيم هذا الكلام ؟! وأى دعاء هذا الذى يقول فيه : إن كنت فعلت كذا فامح كذا، أو افعل كذا ، مع أن النبى ﷺ أمرنا إذا دعونا أن نجزم المسألة فقال : «لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لى إن شئت ، اللهم ارحمنى إن شئت ، اللهم ارزقنى إن شئت ، ليعزم مسألته فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له » [3] ، لا ينبغى أن نقول : إن شئت . . . إن كنت كتبتنى ، لا ، قل اللهم اغفر لى وارحمنى واجعلنى من السعداء .

وفى هذا الدعاء أيضًا يقول القائل : إلهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شعبان المكرم ، التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ، وهذا خطأ ، فالليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة القدر كما جاء فى سورة ( الدخان ) : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ، إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ

---

(١) عرض الشيخ القرضاوى لهذا الدعاء وبين بطلانه وتناقضه بالتفصيل فى فتويين له فى كتاب ( فتاوى معاصرة : ١/ ٣٧٩ - ٣٨٣ ) .

(٢) الرعد : ٣٩ .

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة ( شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ٥/ ١٩٣ ، الحديث ١٣٩٢ ) .



OBEIKAN.COM

عندنَا، إِنَّا كُنَّا مُرْسلينَ ﴾ (١) ، والليلة التى أنزل فيها القرآن هى نفس الليلة التى قَالَ فيها : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٢) وهى بالنص والإجماع فى شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى والْفُرْقَانِ ﴾ (٣) .

ما أحوجنا إلى أن ندعو الله تعالى فى كل وقت ، ولكن ندعوه بالمأثور عن رسول الله ﷺ ، وندعوه بما ورد به القرآن ، وما أكثر ما ورد فى القرآن من أدعية تنشرح بها الصدور ، وتطمئن بها القلوب ، كخواتيم سورة البقرة ، وخواتيم سورة آل عمرن ، وأدعية الأنبياء وغيرهم من المؤمنين والربانيين فى القرآن .

لم يرد فى ليلة النصف من شعبان تخصيصها بشىء من هذا ، كل ما ورد عن نصف شعبان حادثة عظيمة جرت فيه فى السنة الثانية من الهجرة ، وهى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وكانت هذه أمنية رسول الله ﷺ ، فقد كان قبل ذلك يصلى إلى بيت المقدس كما كان الأنبياء قبله يصلون ، وكان وهو فى مكة يحاول أن يجمع بين الأمرين ، فكان يصلى بين الركنين : بين الحجر الأسود والركن اليمانى ، فتكون الكعبة أمامه ويكون أيضًا بيت المقدس أمامه ، ولكنه تعذر عليه ذلك حينما هاجر إلى المدينة ، فكان يتمنى من قلبه أن يوجه إلى قبلة أبيه إبراهيم ، بانى البيت ورافعه ، وابنه إسماعيل، والنبى ﷺ وارث ملة إبراهيم ومتبعها ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٤) .

كان يتمنى ذلك وينتظر الوحى ، وينظر إلى السماء دون أن ينطق لسانه بشىء ، أدبًا مع الله تبارك وتعالى ، حتى هيأ الله له ما أحب ورضى ، ونزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا . . . ﴾(٥) انظروا إلى هذا الحب : حقق له ما يرضاه فى الدنيا ، ووعده بإعطاء ما يرضاه فى الآخرة ، انظروا إلى هذه العبارة الندية فى آية أخرى حيث قال له : ﴿ وَلَسَوْفَ

---

(١) الدخان : ٣ - ٥ .
(٢) القدر : ١ .
(٣) البقرة : ١٨٥ .
(٤) النحل : ١٢٣ .
(٥) البقرة : ١٤٤ .



OBEIKAN.COM

يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [1] وهنا قال له : ﴿ ... فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[2] ، وجهه إلى القبلة التى كان يتمناها ... إلى البيت الحرام ... إلى قبلة إبراهيم عليه السلام .

وهنا ثارت ضجة ، أثارها اليهود فى المدينة ، أقاموا الدنيا ولم يقعدوها : إن محمدًا له كل يوم رأى ، وكل يوم قبلة ، كيف اتجه إلى الكعبة وكان من قبل يتجه إلى بيت المقدس ؟ إن كان ما مضى باطلاً فإن صلاة من صلى قبل ذلك ضائعة، وإن كان حقًا فكيف غير هذا الحق اليوم ؟ ونزل القرآن الكريم يرد على هؤلاء ، نزلت آيات كثيرة تمهد لهذا الأمر ، وتقرر أولاً حق الله تعالى فى نسخ ما يشاء من الأحكام والآيات ، كما قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3] .

ثم من ناحية أخرى حملت على هؤلاء السفهاء الذين ينتهزون أى فرصة لإثارة الشبهات واختلاق الأقاويل بلا علم ولا بينة ، وردت عليهم فأفحمتهم ، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ، قُل لله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [4] ، المشرق والمغرب لله ... الجهات كلها لله تستوى صخرة بيت المقدس أو الكعبة فى مكة ، كلها لله عز وجل ، الله هو الذى يخصص ويأمر ، وإلا فالجهات مستوية ، كما قال تعالى فى نفس السورة : ﴿ وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله ... ﴾[5] فهو سبحانه من حقه أن يخصص الجهة التى يريدها ويحبها لخلقه ﴿يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [6] ، وقد هدى هذه الأمة إلى أحسن الجهات ، اختار لهم أفضل الأماكن ... أول بيت وضع للناس ليتجهوا إليه ،

---

(١) الضحى : ٥ .
(٢) البقرة : ١٤٤ .
(٣) البقرة : ١٠٦ .
(٤) البقرة : ١٤٢ .
(٥) البقرة : ١١٥ .
(٦) البقرة : ١٤٢ .



OBEIKAN.COM

وليكونوا متعلقين بأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وليجددوا ملته فى التوحيد ومحاربة الأوثان والأصنام .

ومن هنا ذكر القرآن هذه الوسطية . . . وسطية هذه الأمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . . ﴾ (١) فهم وسط فى كل شىء : فى الاعتقاد ، وفى التعبد ، وفى الأخلاق ، وفى السلوك ، وفى التشريع ، حتى القبلة يقول عنها العلماء والباحثون اليوم : إن الكعبة البيت الحرام تعتبر وسط العالم ، وسط الدائرة ، مركز الدائرة ، سرة العالم ، هكذا أثبت الأستاذ حسين كمال الدين .

أما لماذا كانت الكعبة ثانيًا وبيت المقدس أولاً ، فهذا سر الابتلاء ، ولهذا يقول القرآن : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ . . . ﴾ (١) .

لا بد من امتحان كما حدث فى الإسراء والمعراج ، لا بد من تنقية الصف قبل مرحلة الجهاد المقبلة التى يواجه المسلمون فيها أعداء كثرًا : الجبهة الوثنية ، والجبهة اليهودية ، والجبهة النصرانية ، والجبهة المجوسية ، وجبهة المنافقين ، لا بد من صف مؤمن متماسك كالبنيان المرصوص ، فلا بد من امتحان يميز الله فيه الخبيث من الطيب ﴿ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ . . . ﴾ المؤمن يقول : سمعنا وأطعنا ، والمذبذب ينقلب على عقبيه لأدنى شىء ، فهذا لا خير فيه .

﴿ . . . وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ . . . ﴾ (٣) كان هذا التحويل شاقًا بما صحبه من تهاويل ، ولكن الذين هداهم الله بالإيمان استقبلوه بنفوس مطمئنة ، وعرفوا أن هذا من حق الله تبارك وتعالى .

﴿ . . . وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ، إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) الذين صلوا قبل ذلك نحو بيت المقدس لم تضع صلاتهم ، صلاتهم كانت صحيحة فى وقتها ، ولو صلوا بعد هذه الآية إلى بيت المقدس لبطلت صلاتهم ، لأن كل حكم صحيح فى وقته ، فإذا نسخ فلا يجوز أن يعمل به .

ثم بين الله تبارك وتعالى بعد ذلك أن المهم **فى الأمور كلها هو صدق التوجه إلى**

---

(١) ، (٢) البقرة : ١٤٣ .

(٣) ، (٤) البقرة : ١٤٣



OBEIKAN.COM

الله ، البر الحقيقى هو بر العقيدة وبر الخلق وبر السلوك ، ولهذا رد على اليهود الذين يقفون عند الرسوم والشكليات بقوله : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . . . ﴾ (١) ما سر هذه الضجة ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢) .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا بر العقيدة ، وبر العبادة ، وبر الأخلاق ، وبر السلوك ، إنه سميع قريب ، ادعوا ربكم يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

إن همومنا نحن المسلمين كثيرة ومصائبنا شتى ، ولا ندرى ما المخرج من هذه المصائب التى تتوارد علينا ؟ أصبحنا هدفًا لكل السهام ، لكل النبال ، تنوشنا من كل جانب .

القوى الكبرى تضربنا عن يمين وشمال ، ومن شرق وغرب ، الشيوعية متمثلة فى روسيا تضربنا فى أفغانستان ، والرأسمالية متمثلة فى أمريكا تضربنا ليبيا ، والصليبية التى يعاونها هؤلاء وهؤلاء تضربنا فى الفلبين مرة ، وفى إريتريا مرة أخرى ، وفى فلسطين ، وفى لبنان ، عمن نتحدث ؟ إنها مصائب كثيرة . . . إنها بلايا شتى ، ما العمل ؟ سنظل نضرب ، وسنظل نطعن ، وسيظل أعداؤنا يطمعون فينا ما دمنا متمزقين . . . ما دمنا متفرقين ، الألف مليون لن تكون لهم قوة إلا إذا اتحدوا ، الاتحاد يقوى القلة ، والتفرق يضعف الكثرة .

---

(١) ، (٢) البقرة : ١٧٧ .



OBEIKAN.COM

ولا يمكن أن نتحد إلا إذا اتحدنا على الإسلام ، لا وحدة لنا بغير الإسلام ، إذا لم نتناد بالإسلام منهاجًا وشريعة ونظامًا لحياتنا ، وأساسًا لوجودنا ، سنفترق يمينًا ويسارًا وشرقًا وغربًا ، هذا يوالى هؤلاء وهذا يوالى أولئك ، وهذا قبلته هنا ، وهذا قبلته هناك .

نريد القبلة الواحدة ، نريد أن نتجه كلنا إلى الكعبة رمز التوحيد ، نريد أن يكون قائدنا رسول الله ﷺ ، نريد أن يكون كتابنا هو القرآن الكريم ، نريد أن تكون شريعتنا ومنهاجنا الإسلام ، بهذا وحده نتحد ونصبح قوة تنصر الصديق ، وترهب العدو ، وإلا فلا منجاة لنا ، سنظل ندور وندور كالحمار فى الرحى أو الثور فى الساقية ، والمكان الذى انتهينا إليه هو الذى ابتدأنا منه .

لا بد من عمل ، والعمل الأساسى أن توحد هذه الأمة على الإيمان والإسلام ، على أن تسير خلف رسول الله ﷺ ، تلتمس القدوة وتلتمس الهدى والنور ، وتتخذ كتاب الله أساسًا لحياتها ، ولا تتخذه مهجورًا ، حتى لا يخاصمها النبى ﷺ ويقول: ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (١) ، هذا وحده هو سبيل الخلاص ، ولا سبيل سواه ، هذا وحده هو طوق النجاة ولا طوق غيره ، وبدون هذا لن تنتج المؤتمرات ، ولا الاجتماعات ، ولا البرقيات ، ولا الاستنكارات، لن ينتج هذا كله شيئًا .

لا بد من عودة حقيقية إلى الله ... أن نضع أيدينا فى يد الله ... أن ننتزع الأحقاد والعداوات ، إن كان ضروريًا بالنسبة للأفراد ، فكيف بأحقاد الجماعات والدول ؟ لماذا هذه الأحقاد ... داء الأمم ... الحالقة التى تحلق الدين وتحلق الوجود كله ؟ لا بد من عودة الأخوّة ... لا بد من عودة الصفاء ولا صفاء إلا بالإيمان، ولا أخوّة إلا بالإسلام .

اللهم اجمع كلمتنا على الهدى ، وقلوبنا على التقى ، ونفوسنا على المحبة ، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل ، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل

---

(١) الفرقان : ٣٠ .



OBEIKAN.COM

غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر ، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١) . اللهم آمين وأقم الصلاة .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ .



OBEIKAN.COM

# يوم الامتحان الأعظم

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

كلما أقبلت مواسم الامتحانات ، ورأيت الطلاب والطالبات منكبين على دروسهم، منهمكين فى مذاكرتهم ، مشغولين بيوم آت لا ريب فيه ، هو يوم الامتحان ، يوم يكرم المرء فيه أو يهان ، كلما رأيت هذه المواسم ورأيت الانشغال والجد، والاهتمام والحرص ، وترقب هذا اليوم بقلق وخوف ، ذكرنى ذلك بامتحان أكبر يغفل الناس عنه ويهملونه ، ويضعونه دبر آذانهم ، وتحت أقدامهم ، ذلك الامتحان الأكبر هو امتحان يوم القيامة .

امتحانات الدنيا مهما تكن نتائجها تهون ، الناس يشغلون بها كل الشغل ، ينشغل الطالب وأهله ، ينشغل الأبناء والبنات ، والآباء والأمهات ، تنشغل الأسرة كلها بهذه الامتحانات ، وتسر إذا كانت النتيجة حسنة ، وتساء وتحزن إذا كانت النتيجة سيئة ، فبيت فرح مسرور ، وبيت آخر آسٍ حزين ، ولكن لماذا يكون السرور؟ ولماذا يكون الحزن ؟

السرور لأن الإنسان قد اجتنى ثمرة اجتهاده وجده ، فمن حقه أن يفرح ، ومن حق أهله أن يفرحوا ، وآخر قد جنى نتيجة تفريطه ، فمن شأنه أن يحزن وأن يساء ، ومن شأن أهله كذلك .

إلا أن امتحانات الآخرة أشد خطرًا ، وأبقى وأخلد أثرًا ، امتحانات الدنيا تهون، لأن الامتحان يمكن أن يعوض ، يمكن أن يكون له ملحق ، أن يكون له دور ثان ، يمكن أن يعيد السنة ويستدرك ما فات .

صحيح أن هناك فرقًا بين السابقين واللاحقين ، والمتفوقين والمتأخرين ، ولكن الأمور يمكن أن تتدارك ، لكن امتحان الآخرة لا تدارك فيه ، هناك يوم لا ريب فيه، يمتحن فيه المكلفون جميعًا ، عربهم ، وعجمهم ، ذكورهم وإناثهم ، غنيهم



OBEIKAN.COM

وفقيرهم ، حكامهم ومحكوموهم ، فهم جميعًا يمتحنون فى هذا اليوم ، فماذا قدموا لهذا اليوم ، هل زرعوا فهم يحصدون ؟ هل غرسوا فهم يجتنبون ؟ أو فرطوا وأضاعوا ؟ اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل ، اليوم الغرس وغدًا اجتناء الثمرات ، اليوم الزرع وغداً الحصاد ، وقد قال القائل :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ندمت على التفريط فى زمن البذر

وهذا هو زمن البذر ، الدنيا مزرعة الآخرة ، فمن أراد أن يحصد غدًا فليزرع اليوم . . . فليقدم لنفسه قبل أن يأتى يوم الامتحان ، وهو يوم لا غش فيه .

إذا كان الناس يغشون فى امتحانات الدنيا ، ويتعاون بعضهم على الإثم والعدوان، فليس فى امتحان الآخرة غش ، وليس فيه مساعدة ، لا يساعد أحد أحدًا، لا يساعد الابن أباه ، ولا الأب ابنه ، ولا الزوج زوجه ، ولا الصديق صديقه ، كل إنسان مشغول بنفسه ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (١) كل إنسان يقول : نفسى نفسى ﴿ . . . لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا . . . ﴾ (٢) .

كل يطلب النجاة لنفسه ، لا يدرى قد ينقص ميزانه حسنة واحدة فكيف يمنحها لغيره ؟ الميزان بالحسنات والسيئات ، التعامل ليس بالدرهم والدينار ، ولا بالريال ولا بالدولار ، ولكن العملة الوحيدة فى ذلك اليوم الحسنات والسيئات ، فلا ينفع أحدٌ أحدًا ، إنه يوم الأنانية المفرطة ، يوم الفردية المطلقة ، حتى الأبوة ، حتى الأمومة ، حتى هذه العواطف الحانية لا وجود لها فى ذلك اليوم كل يقول : نفسى نفسى . . . النجاة النجاة .

جاء فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : « يحشر الناس حفاة عراة غرلا » ( غير مختونين ) قالت عائشة : فقلت : الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض ؟

---

(١) عبس : ٣٣ - ٣٧ .

(٢) لقمان : ٣٣ .



OBEIKAN.COM

قال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك » [1] الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض، كل مشغول بنفسه ، قيل : وما شغله ؟ [2] قال : ﴿ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [3] .

أجل ، كل مشغول بمصيره : أيسعد سعادة الأبد أم يشقى شقوة الأبد ؟ أيكون من أهل الجنة أم من أهل النار ؟ إنه يوم الحساب الأكبر ، يوم الامتحان الأعظم ، ولكن الناس فى غفلة عن هذا اليوم ، الطالب المجد يعد ليوم الامتحان من أول العام ، يجتهد ويستذكر ويراجع وينتبه ، حتى يجنى الثمرة فى النهاية نجاحًا وفلاحًا وتفوقًا يبشر به ويهنأ به ، ولكن العاجز الكسلان يتبع نفسه هواها ، ويتمنى على الله الأمانى .

وكذلك الناس فى الآخرة ، هناك من يعد للحساب عدته ، من يتهيأ ليوم الامتحان الأكبر ، ومن يغفل عن هذا اليوم .

● **والناس فى هذا أصناف ثلاثة** :

صنف لا يؤمن بالآخرة ، يظن أنه خلق لهذه الدنيا وحدها ، لا يؤمن بحساب ولا جزاء ولا جنة ولا نار ، أولئك هم الماديون والدهريون والشيوعيون وغيرهم من الملاحدة قديمًا وحديثًا ، أولئك الذى ظنوا قصة الحياة أرحامًا تدفع ، وأرضًا تبلع ، ولا شىء وراء ذلك ﴿ . . . نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ . . . ﴾ [4] .

هكذا وجد من قديم وحديث أناس يظنون أن هذه الحياة هى كل شىء ، هى المبدأ والمنتهى ، هى الأولى والآخرة ، ولا شىء غيرها ، لماذا إذن كان هذا الخلق ؟

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٩٢٥ ، الحديث ٢٢٤١ ) .

(٢) يشير الشيخ إلى حديث سودة بنت زمعة رضى الله عنها وفيه : قال رسول الله ﷺ : «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً ، قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان » فقلت : يبصر بعضنا بعضًا ؟ فقال : « شغل الناس لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » رواه الطبرانى ، ورواته ثقات . وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عباس وهو ثقة ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٩٢٦ ، الحديث ٢٢٤٣ ) .

(٣) عبس : ٣٧ .

(٤) الجاثية : ٢٤

لماذا إذن كانت هذه الحياة ؟ لماذا انتصب هذا السوق ؟ إذا كانت هذه الدنيا ستنتهى ولا حياة بعد ذلك . . . ولا بعث . . . ولا حساب ، وقد نهب الناهب ، وسرق السارق ، وظلم الظالم ، وقتل القاتل ، وطغى الطاغى ، إذا كان كل هؤلاء ستطوى صفحاتهم ولا يجازى أحدهم بما عمل فأين العدل إذن ؟ أين الحكمة؟ إن بعض هؤلاء قد فر من عدالة الأرض فأين عدالة السماء ؟ قد هرب من عدالة الدنيا ، ألا توجد عدالة أخرى ؟ ، بل بعض من هؤلاء من واضعى القوانين وحراسها ، حاميها حراميها ! هؤلاء لم يجاوزوا فى الدنيا ، أفلا يوجد عدل ؟ إذا لم يكن هناك آخرة فلا عدل .

كيف يسوى هؤلاء الظلمة الطغاة بآخرين نصروا الحق ، وفعلوا الخير ، وقاوموا الظلم ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، فأعلن الطغاة حربًا عليهم ، وساموهم سوء العذاب ، فشرد من شرد ، وعذب من عذب ، وقتل من قتل ؟ .

ما الذى يعوض هؤلاء عما قاسوه فى الدنيا فى سبيل الحق والعدل ، إذا لم تكن هناك حياة أخرى ؟

أينتهى الأمر بنجاة أهل الباطل والظلم ، وإبادة أهل الحق والخير ؟ وقد قضى الأمر . وختم الكتاب ، وأسدل الستار ؟؟!!

هذا هو الباطل الذى يتنزه الله تعالى عنه ، هذا هو العبث الذى لا يليق بحكمته وجلاله ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ . . . ﴾ (١) ، ويقول الله عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢) ، لا والله لا يستويان ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) ، الحق الذى قامت عليه

(١) المؤمنون : ١١٥ -١١٦ . (٢) سورة ص : ٢٧ - ٢٨ . (٣) الجاثية : ٢١ - ٢٢.



OBEIKAN.COM

السموات والأرض أنه لا بد من جزاء عادل ، لا بد من أن توفى كل نفس ما كسبت، وتخلد فيما عملت ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ ﴾ (١) .

هناك عدالة إلهية ، هناك قصاص لا بد منه ، حتى أنه ليقتص للشاة الجلحاء التى لا قرن لها من الشاة القرناء ، التى اعتدت عليها ونطحتها كما جاء ذلك فى صحيح مسلم (٢) ، دلالة رمزية على أن العدل الإلهى عدل شامل ، لا يمكن أن يهرب منه أحد ، قسطاس مستقيم وميزان عادل لا جور فيه .

جاء رجل من أصحاب النبى ﷺ فقال : إن لى مملوكين يكذبوننى ، ويخونوننى، ويعصوننى ، وأشتمهم وأضربهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك ، وعقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل » فتنحى الرجل ، وجعل يهتف ويبكى ، فقال له رسول الله ﷺ : « أما تقرأ قول الله : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(٣) فقال الرجل : يا رسول الله ما أجد لى ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم ، أشهدك أنهم كلهم أحرار (٤) ما دامت المسألة بهذا التحديد وهذا التدقيق فليرح نفسه ويعتقهم لوجه الله ، لا بد من حساب وميزان لحبة الخردل .

هناك أناس لا يؤمنون بالآخرة ، لا يؤمنون بالبعث والحساب ، يستبعدون على الله تعالى أن يعيد خلقًا بدأه ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ

---

(١) الزلزلة : ٧ - ٨ .

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » رواه مسلم ، والترمذى ( المنتقى من الترغيب والترهيب : ٢/ ٩٣٠ ، الحديث ٢٢٥٩ ) .

(٣) الأنبياء : ٤٧ .

(٤) رواه أحمد والترمذى ، عن عائشة رضى الله عنها . وانظر ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ٢/ ٦٣١ - ٦٣٢ ، الحديث ١٣٤٨ ) .

عَلَيْه . . . ﴾ (١) ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، هؤلاء هم الماديون المنكرون للآخرة ، وهم الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (٣) .

هذا صنف من الناس ، وهناك صنف آخر يؤمنون بالآخرة ، ويؤمنون بأن بعد الموت بعثًا ، وأن بعد البعث حسابًا ، وأن هناك جنة ونارًا ، ولكنهم غافلون عن هذا المصير ، غرقوا إلى آذانهم فى دنياهم ، عاشوا ليومهم ونسوا غدهم ، أحبوا الدنيا ونسوا الآخرة ، وأحبوا المال ونسوا الحساب ، وأحبوا الخلق ونسوا الخالق ، وأحبوا القصور ونسوا القبور ، هؤلاء مؤمنون بالآخرة ، ولكنه إيمان نائم مخدر ضعيف ، لا يبعث على عمل ، لا يحفز إلى خير ، ولا يردع عن شر ، ليس هذا هو الإيمان المراد ، نريد إيمانًا بالآخرة يدفع إلى عمل الخير ، ويزع عن فعل الشر .

أكثرنا للأسف من هذا الصنف الثانى ، كلنا يؤمن بأن هناك آخرة ، كلنا يؤمن بيوم القيامة ، كلنا يؤمن بالجنة والنار ، ولكن من منا الذى يذكر ذلك فى مصبحه وممساه ، وغدوته وروحته ، وجلوته وخلوته ؟! وقد قال النبى ﷺ لابن عمر : «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك (٤) .

ما يدريك - أيها الإنسان - أنك إذا أصبحت ستعيش إلى المساء ؟ وما يدريك إذا أمسيت أنك ستبقى إلى الصباح ؟ فالأمر ليس فى يدك ، إنما هو فى يد غيرك ، والأجل مجهول لا يعرفه أحد ﴿ . . . وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا

---

(١) الروم : ٢٧ . (٢) يس : ٧٨ - ٧٩ . (٣) يونس : ٧ - ٨ .

(٤) رواه البخارى ، وروى الترمذى والبيهقى نحوه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٨٦٦/٢ ، الحديث ٢٠٨٠ ) .

تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) ونحن نعرف فى هذا العصر موت الفجأة . . . الموت بالذبحة الصدرية أو بالسكتة القلبية ، أو بغير ذلك من الأمراض التى عرفها الناس فى هذا العصر ، ونعرف الموت بالحوادث . . . حوادث السيارات أو حوادث الطائرات أو حوادث البواخر أو غير ذلك . وقد لا تخطىء أنت ، ولكن يأتى من يخطىء فيدهمك ويقضى عليك ، قد تكون ماشيًا على قدميك ، فيأتى من يصعد إلى حافة الطريق ويصدمك فتلقى أجلك ، كل هذا وارد ، فهل أعددنا للموت ولما بعد الموت عدته .

الموت أهون ما بعده وأشد ما قبله ، الموت أشد من أى شىء عرض للإنسان فى حياته ، ولكنه أهون من كل المراحل التى تأتى بعد ذلك .

بعد الموت هناك القبر ، وبعد القبر هناك الحشر . . . الموقف . . . الحساب . . . الميزان . . . الصحف . . . الصراط . . . الجنة . . . النار ، هذا كله بعد الموت .

كان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر يبكى حتى يبلّ لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه » (٢) يقول هانىء مولى عثمان : وسمعت عثمان ينشد على قبر :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة  وإلا فإنى لا إخالـــــــك ناجيًا

إن تنج من هذه المنزلة من منازل الآخرة تنج من ذى عظيمة . . . تنج من هول شديد ، وإلا فانتظر ما بعده .

---

(١) لقمان : ٣٤ .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب ، ورواه ابن ماجه ، والحاكم وصححه ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٩٠٩ ، ٩١٠ الحديث ٢٢٢٥ ) .



OBEIKAN.COM

« ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه » ما أصدقها كلمة ! ، وما أبلغها عبرة ! ولكن لإلفنا هذا المنظر أصبح لا يؤثر فينا .

تصوروا إنسانًا يعيش فى حياة ناعمة ... فى بيت مكيف ... فى أثاث ورياش، وربما فى قصر ضخم ، وحوله خدم وحشم ، ينتقل بعد ذلك إلى هذه الحفرة ، ويوضع فيها وحده ، لا أنيس ... لا جليس ... لا خدم ... لا حشم... لا حراس ، ليس معه شيء إلا عمله ، ماذا يصنع بما ترك خلفه ؟ هب أن عنده الملايين هل يصحب منها شيئًا ؟ هل توضع معه صناديق الذهب ؟ ولو وضعوها معه هل يرشى منكر ونكير ؟ لا ... لا ينفع أحدًا شيء مما خلّفه وراءه من دنياه وتراثه.

إذا مات العبد قالت الملائكة : ماذا قدم ؟ وقال الناس : ماذا خلّف ؟ الناس يسألون : كم ترك من رصيد فى البنوك ؟ كم ترك من عمارات وبنايات ؟ كم ترك من عقار وأموال ؟ ماذا خلف وراءه ؟ والملائكة تسأل : ماذا قدم أمامه ؟ لأن الذى ينفعه ليس ما خلّفه وإنما ما قدمه . ما خلّفه قد ينفعه وقد لا ينفعه ، بل كثيرًا ما يتضرر به ؛ لأنه جمعه من غير حلّه ، أو بخل به عن حقه ، وتركه لمن لا يؤدون حق الله فيه .

وبعد القبر يأتى المحشر ... يأتى الموقف ... يأتى الحساب ، تأتى هذه المراحل كلها ، ولذلك كان الموت أهون من كل مما بعده .

رأى الحسن البصرى رضى الله عنه ميتًا يدفن فقال : إن امرءًا هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله - أى فى الدنيا التى قبله - وإن امرءًا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره - أى لما يأتى بعد ذلك من مواقف القيامة .

### ● الناس أصناف ثلاثة :

صنف لا يؤمن بالآخرة ، من الماديين الجاحدين أعاذنا الله من شرهم . وصنف يؤمن بالآخرة ، ولكنه غافل عنها ، لا تعيش الآخرة نصب عينيه ، بل يدعها وراء ظهره ، كأنما جعلها نسيًا منسيًا ، أو كتابًا مطويًا لا يريد أن يفتحه .

والصنف الثالث هم الذين يؤمنون بالآخرة ويعيشون لها ويسعون سعيها ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ

كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [1] هؤلاء هم المؤمنون الصادقون الذين يعلمون أن الدنيا إنما هى دار ممر لا دار مقر ، وأنها مزرعة للآخرة ، وأنهم لم يخلقوا للدنيا وإنما خلقت لهم الدنيا ، هم خلقوا للآخرة ، خلقوا لله ، فهم يتخذون الدنيا مطية يرتحلونها فى سفرهم إلى الله ، ولا يتخذونها ربًا فتتخذهم عبيدًا .

وهم يذكرون الآخرة دومًا ، كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون . أى كان كل إنسان يصنع ما بدا له ، ويفعل ما يحلو له ، يعبّ من الشهوات عبا ، ويرتكب من الموبقات ما يرتكب ، ويعتدى على كل ضعيف ، وكانت الحياة غابة يفترس فيها القوى الضعيف ، ولكن القيامة هى التى جعلت عمر يعف عن المال العام ، ويعيش بثوب مرقع ، وكنوز كسرى وقيصر تأتى إليه من هنا وهناك .

كانوا يعلمون أن أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ، فلا يريدون عيشهم ، إنما أرادوا أن يعيشوا فى الدنيا بقلوب أهل الآخرة ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [2] خوف يوم القيامة هو الذى قطع نياط قلوب المؤمنين ، وجعلهم يعيشون دائمًا بآمال الآخرة .

سئل بعض السلف : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت قريبًا أجلى ، بعيدًا أملى ، سيئًا عملى ؛ وسئل الإمام الشافعى : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ سأله المزنى فى علته الأخيرة فقال : أصبحت عن الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقًا ، ولسوء عملى ملاقيًا ، ولكأس المنية شاربًا ، وعلى الله تعالى واردًا ، ولا أدرى روحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ؟ ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منه وتكرما

---

(١) الإسراء : ١٩ .

(٢) النور : ٣٧ .



OBEIKAN.COM

ولولاك لم يغوى بإبليس عابـــــــد فكيف وقد أغوى صفيك آدمـــــا ؟

لو أن الناس استحضروا الآخرة ... استحضروا الموت ... استحضروا القبر ... استحضروا القيامة ... استحضروا الميزان والصراط ... استحضروا الجنة والنار ... لانحلت مشكلات هذه الحياة ، لما رأينا الصراع على هذا المتاع الأدنى ، ما رأينا الإنسان يقاتل أهله ، ويجافى إخوانه ، ما رأينا تنازع البقاء أو تنازع الفناء الذى نشهده .

إن مشكلة الناس فى عصرنا أن الآخرة غائبة عنهم ، لو أن الآخرة حاضرة مشهودة فى وعيهم ... فى عقولهم ... فى قلوبهم ، لحلت المشكلات .. لتسامح الناس .. لأعطى كل ذى حق حقه .. لما تظالم الناس ولا طغى بعضهم على بعض ، ولكنها الغفلة عن الآخرة ، والغفلة شر ما يصيب الناس ، ولهذا قال الله تعالى فى ذم قوم جعلهم حطب جهنم : ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١) وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم : اللهم لا تدعنا فى غمرة ، ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين .

نسأل الله تبارك وتعالى ألا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، وأن يجعل الآخرة نصب أعيننا ، اللهم آمين . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة :

ألاحظ أن هناك بعض الإخوة يحضرون متأخرين ، وهؤلاء يُفوِّتون على أنفسهم ثوابًا عظيمًا ، فقد صحت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ، ثم راح فى الساعة الأولى - أى فى الفوج الأول - فكأنما قرّب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة ، ومن راح

---

(١) الأعراف : ١٧٩ .



OBEIKAN.COM

فى الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » [1] كأن السجل الذى يكتب فيه الحضور والغياب طوى . . . انتهى ، لأنه جاء بعد الوقت المحدد ، فهذا يحرم نفسه خيرًا كثيرًا ، ثم يضطر إلى تخطى الرقاب فيؤذى الآخرين ، ولهذا أوصى الإخوة بالتبكير.

إن كل لحظة تبقاها فى المسجد تكتب لك صلاة ، الإنسان فى المسجد فى صلاة ما دام ينتظر الصلاة حتى يحدث أو يخرج من المسجد ، وما دام فى المسجد ينتظر الصلاة فإن الملائكة تصلى عليه . . . تدعو له ، تقول : اللهم اغفر له . . . اللهم ارحمه ، حتى يحدث أو يخرج من المسجد [2] .

فاحرص على أن تجلس فى المسجد بنية الاعتكاف لله عز وجل ، ليكن لك عبادة ومثوبة عند الله ، وبخاصة أننا مقبلون على الموسم العظيم . . على شهر رمضان . . شهر القرآن . . شهر العبادة . . شهر الصيام والقيام . فهيئوا أنفسكم له بالنية الصادقة . . بالتوبة النصوح . . بالعزم المصمم على أن تخرجوا منه مغفورًا لكم فـ « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » [3] « . . . ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » [4] .

---

(١) رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٢٤٥ ، الحديث ٣٧٤).

(٢) يشير الشيخ إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « . . . فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه : اللهم صلّ عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » وفى رواية : « اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه ، ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه » رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ( المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ١/ ١٦٢ ، الحديث ١٦٦ ) .

(٣) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ( المنتقى : ١/ ٣١١ ، برقم ٥١٥ ) .

(٤) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ( المنتقى : ١/ ٣١١ ، برقم ٥١٤ ) .

اللهم اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقى ، واجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) اللهم آمين .

﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) آل عمران : ١٤٧ . (٢) الحشر : ١٠ . (٣) العنكبوت : ٤٥ .



OBEIKAN.COM